إن الواقع يكشف عن أن الرجل لم يحسن قراءة المرأة ليس لأنه لا يريد ذلك، وإنما لأنه لا يستطيع ولا يسمح له رصيده الثقافي الذكوري بأن يفهم المرأة، وكثيراً ما عبر الرجل بواسطة الأمثال والأحجيات والنكت وبواسطة الخطاب الفلسفي عن أنه لا يفهم المرأة، وعن أنها لغز عجيب.

ولقد عبرت المرأة مجازياً عن عجز الرجل بإزاء قدرتها هي على فهم الأنوثة، وذلك في حكايات شهرزاد التي تضمنت رسالة غير مباشرة إلى الرجل توحي له فيها إلى أنه لا يعرف المرأة وتقترح عليه أن يترك ذلك لها هي حيث إنها الأقدر والأعرف.

وتشير إحدى روايات (سوزان قلاسبل) إلى حادثة تفسرها جوديث فيترلي حسب هذا المعنى وذلك حينما حدثت جريمة قتل، عجز الرجال عن فك ألغازها وحينما استعانوا بإحدى السيدات اكتشفت أن الجريمة كانت من عمل زوجة القتيل وذلك بواسطة قراءتها لأوضاع المطبخ. ولقد كان المطبخ بمثابة نص أنثوي لا يمكن فهمه إلا بواسطة قراءة أنثوية[82].

وتدل حالات الطلاق في أمريكا على شيء من ذلك، حيث وجد الرجل نفسه يفاجأ بشخصية نسائية لم يعهدها في مخزونه الثقافي. فقد تغيرت المرأة ولم يعمل الرجل حساباً لهذا التغير وظل يطلب المرأة النمطية المخبوءة في ذهنه، فإذا لم يجدها بادر بالطلاق، وزادت هذه النسبة حتى بلغت ثمانين بالمائة من الزواجات في خلال السنتين الأوليين من الاقتران. وهذا يعني أن علاقات الجنسين تمر بأزمة حادة نتيجة

(82) انظر Elizabeth Flynn and Patrocinio Schweickart (ed): Gender and Reading 147-149 The Johns Hopkins University Press, Baltimore 1986.